

رؤية إسلامية لنهاية الاحتلال الإسرائيلي لبيت المقدس

إعداد: الدكتور جبر خضير البيتاوي

أستاذ الأدب الوسيط المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة النجاح الوطنية

مقدم إلى مؤتمر يوم القدس الثالث عشر بعنوان

"القدس في المشهد الفلسطيني"

نابلس - فلسطين

2017/هـ1439م

رؤية إسلامية لنهاية الإسرائيلي لبيت المقدس

إعداد: الدكتور جبر خضير البيتاوي

تقوم هذه الدراسة على التعرف على الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس، والبحث حول التوجه الإسلامي في النبوءات ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية والموروث الإسلامي، وفي مؤلفات المسلمين التراثية والمعاصرة.

وفي خضم هذا الصراع العنيف بين الدولة العبرية والغرب الأمريكي من جانب والفلسطينيين والعرب والمسلمين من جانب آخر. سننظر في هذه الدراسة على حقيقة الصراع الحالي، والقادم بين هذين الطرفين.

كذلك ما إذا كان هذا الصراع سياسياً أو دينياً. ومعرفة جذوره ومحاولة دحض حقيقة الطرف الإسرائيلي باحتلال الأرض المقدسة، وامتلاكها، ووعدهم الرب المزعوم له، إضافة لدراسة الواقع السياسي والاجتماعي والديني للقدس خاصة وفلسطين عامة.

كما أن هذا البحث محاولة جادة للتعرف على حقيقة هذا الصراع هل، هو بين الفلسطينيين والإسرائيليين فقط وكما يحاول بعض الساسة تصويره؟

كذلك التعرف على نقاط الضعف والقوة التي يمتلكها طرفي الصراع، وإلى أين تتجه الأمور السلمية والعسكرية حول هذا الصراع؟

وهل مستقبل بيت المقدس يصير لصالح الطرف الإسرائيلي أم الطرف الفلسطيني؟

وماذا عن التصور الإسلامي لمستقبل للقدس وفلسطين؟

وماذا عن الرؤية الإسلامية لنهاية الإسرائيلي لبيت المقدس؟

مقدمة.

لا يخفى على أحد أن الصّراع المرير على أرض فلسطين اشتباك شرس وعنيف ومحتدم، يدرك ذلك كل المهتمين بالشأن الفلسطيني قديماً وحديثاً وأنه بين قوى وإمبراطوريات كانت ترى ولازالت في الاستيلاء على القدس وفلسطين غاية طموحاتها.

هذا الواقع الخطير الذي تعيشه القضية الفلسطينية والذي بدأ منذ قرن من الزمن. وتحديداً حينما هُزمت الدولة العثمانية وانهار نفوذها على الأقاليم والبلدان العربية والإسلامية في نهاية الحرب العالمية الأولى.

وأدى ببريطانيا بالاستيلاء على فلسطين والقدس عام 1917م. وما تبعه من تسهيلها لهجرات اليهود إلى فلسطين ودعمها لهم حتى تمكنوا من احتلال معظم أراضي فلسطين عام 1948م وطرد أكثر من مليون من أهلها الفلسطينيين الشرعيين.

بعدها تمكن اليهود من احتلال القدس والضفة الغربية إثر هزيمة حزيران عام 1967م. وكذلك سيناء وقطاع غزة والجولان بعدها.

والسؤال المهم الذي يجب أن أطرحه هل سكت الفلسطينيون عن هذا الإسرائيلي الغاشم؟

فهناك أناس من الساسة الفلسطينيين والعرب من يشرعون للحل السلمي وقبول ما يُعرض على الفلسطينيين، تمثل ذلك في الاتفاقيات الفلسطينية والإسرائيلية: أوسلو، وواشنطن، وواي ريفر، وشرم الشيخ المعروف بالحكم الذاتي. والذي على أثره تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية على أجزاء من مدن الضفة الغربية وغزة والذي بدأ عام 1993م. ودخول منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها إلى داخل الأرض المحتلة، وانحسر معظم نشاطها فيها.

وهناك طرف آخر يرى فشل الحلّ السلمي، ولا بد من مقاومة هذا ، وتبني طريق المقاومة والجهاد ضد المحتلّ.

لم تعان بلدٌ ولا دولة من العدوان منذ تاريخها الطويل كما عانت فلسطين عامّة والقدس خاصّة. منذ أنشأها العرب الكنعانيون البيبوسيون قبل ستة آلاف سنة، وبنوا المدن والبلدات الفلسطينية، وجعلوه مسكناً لهم.

والقدس غزاها الفرس واحتلوها منذ 539 ق.م وتمكن الإسكندر المقدوني من هزيمتهم عام 333 ق.م.

وبعدها احتلها الرومان عام 63 ق.م، وبقيت تحت أيديهم حتى فتحها العرب والمسلمون سنة 15هـ/ بقيادة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولقد دام حكم العرب والمسلمين ثلاثة عشر قرناً حتى تمكّن الفرنج الصليبيون من الإستيلاء على القدس وفلسطين عام 492هـ/1099م، إلى أن استطاع المسلمون استرجاعها عام 583هـ/1187م، بقيادة القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي.

ولم يتمكن اليهود حديثاً من احتلالها حتى عام 1948م وذلك بمساعدة الغرب وعلى رأسهم بريطانيا، وأمريكا، وكذلك تمكنهم من احتلال القدس عام 1967 كما أسلفنا. وسنناقش في هذا البحث جملة من القضايا التي يركز عليها:

دحض ادعاء الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين

إن من أهم مرتكزات الحق العربي والإسلامي لفلسطين، وفهم الرؤية المستقبلية لها تكمن في دحض هذا الحق اليهودي لفلسطين. أقام اليهود دولتهم المسمى "إسرائيل" على ادعاء الحق القومي والديني لأرض فلسطين والقدس. فمن الملاحظ أن تصريحات المسؤولين منذ قيام الدولة العبرية تستند إلى ارتباط ديني وتاريخي أكثر مما تعتمد على أسس واقعية وقانونية.

وفي ذلك يقول اسحق شامير عن جابوتنسكي: "كان جابوتنسكي يؤمن كذلك بضرورة تحقيق أغلبية يهودية بدولة يهودية في الأرض الإسرائيلية الشاملة المذكورة بالإنجيل، وكان يؤمن كذلك بأن ذلك لن يتحقق إلا من خلال الشجاعة والعمل والخيال، وسمي ذلك بالتضال الحديدي عن كفاح وعدم الانحراف أو قبول تسوية مخالفة للأهداف الجوهرية وكان يؤمن من أعماقه بحقيقة وجود الدولة اليهودية".

وكان يفهم ويقبل معارضة العرب لتلك الأغلبية اليهودية على إسرائيل، ولكنه، مقتنع بأن الشعب اليهودي أحق بتلك الأرض. وقال: إنَّ العرب سيتعايشون تدريجياً مع تلك الدولة اليهودية¹.

ومن خلال هذا النص نفهم أنّ مؤسسي الدولة اليهودية كانوا يؤمنون ولأزوالوا بأنَّ ارض فلسطين هي ارض اسرائيلية والمستندة على مفهوم ديني كما يزعمون. كذلك فإن هؤلاء المؤسسين أمثال شامير وجابوتنسكي يؤمنون بأن الشعب اليهودي له الحق وحده بارض فلسطين. وقد خطط اليهود ومن سانداهم من الغرب الأمريكي بأنَّ زعماء العرب سيقبلون تدريجياً بتلك الدولة.

ولكن هل قبلت شعوب العرب والمسلمين عامّة، وأهل فلسطين خاصّة بتلك الدولة؟ الجواب على ذلك بالنفي.

إن ارتباك اليهود كان واضحاً وجلياً في منشأ دولتهم في هل يجب أن تكون في فلسطين أو الأرجنتين؟ كما يقول ثيودور-هيرتزل: "فقد كان الخيار الأول لهم الأرجنتين، فتعتبر بطبيعتها إحدى البلدان الغنيّة في العالم، وذات أرض شاسعة مع عدد ضئيل من السّكان ومناخ معتدل. ولكنّ تسلل اليهود الحالي أثار نقمة كبيرة لهذا عدلنا عنها إلى فلسطين". فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى. إن هذا الاسم لوحده يمكنه أن يشكّل دعوة تجمع تحتها قلوب شعبنا"².

لهذا جعلوا من الأساطير التوراتية ستاراً وقاسماً مشتركاً لجميع اليهود في أصقاع الأرض. فهم يعتبرون أنّ عهد بني إسرائيل مرتبط بإبراهيم عليه السلام الذي وُعد بالأرض المباركة كما يزعمون: وُعد أبونا إبراهيم بالأرض المباركة، لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات³. وقال الرّب: إسرائيل ابني البكر⁴.

لقد زعم اليهود أنهم ورثة سيدنا إبراهيم، مع أنهم كانوا يكفرون بالأنبياء، بل لم يكونوا يعتبرونهم أنبياء يوحى إليهم من الله تعالى، بل يتحدثون عنهم حكماً وملوكاً، يشربون الخمر

¹ اسحق شامير، مذكراتي، ص 17.

² ثيودور هرتسل، الدولة اليهودية ص24

³ (سفر التكوين، ص15)

⁴ (سفر الخروج، ص22).

ويزنون، ويسفكون الدماء، ويعبدون الأصنام، ولا شك في أن ذلك يتناقض تماماً مع وضع الأنبياء وعصمتهم الذين أرسلهم الله تعالى هداية للبشرية ورحمة الله من أجل عبادة الله.

بل لا نجد في العهد القديم أي حديث عن هؤلاء الآباء الأنبياء، يفهم أنهم كانوا على دين التوحيد، ودين الله تعالى، ولا أنهم كانوا يدعون إلى ذلك، فأبراهيم عليه السلام يكذب ويعقوب عليه السلام قد صارع الله⁵. بل إن القرآن الكريم يقرر بأن الرسول محمد (ص) والمسلمين هم أحق بوراثة إبراهيم وأبنائه الأنبياء. قال تعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه"⁶.

كذلك نجد القرآن العظيم ينكر على أن عهد إبراهيم لا يناله الظلمة قال تعالى: "وإذا ابتلى إبراهيم بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين".⁷

كذلك فإن الله تعالى ينفي أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، فاليهودية والنصرانية جاءت بعده قال تعالى: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"⁸. كما عاش اليهود طيلة حياتهم في فوضى شاملة لكون طبيعتهم المرتحلة، وكانوا يسمون العبرانيين، ويعبرون الأرض.

ومن مظاهر فوضى اليهود في تاريخهم أنهم يريدون ملوكاً تحكمهم لا أنبياء من الله. فعنادهم وكفرهم بالأنبياء واضح من تاريخهم كما أسلفنا.

وهنا نجد أن النبي صموئيل لم يستطع أن يقودهم فما كان منهم إلا أن طلبوا منه أن يسأل الله تعالى بأن يبعث لهم ملكاً قال تعالى: "ألم تر إلى الملا من إسرائيل من بعد موسى، إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله"⁹.

إنّ أكثر علماء الآثار رفضوا الرواية التاريخية لحق اليهود التاريخي في فلسطين يقول ه. فريس (H. Frese): إنّ جزءاً كبيراً من التاريخ التوراتي كان من إنتاج فترة التهجير الحديثة.

⁵ هشام أبو حاكمة. الأساطير الإسرائيلية، ص4.

⁶ سورة آل عمران، آية 68.

⁷ سورة البقرة، آية 124

⁸ سورة الرعد، آية 67.

⁹ سورة البقرة، آية 246.

وإنها اعتمدت في سورها لبعض القصص على الأساطير، ولذلك لا يوجد ثقة في الروايات التاريخية.

وكذلك ما رآه العالم الأثري سوغين (Sougeen)، إذ يرى بأن ما يعتبر تاريخ المملكة المتحدة الإسرائيلية ما هو إلا قصص تعتمد على الأدب الشعبي، وأنها ليست تاريخاً يعتمد عليه".

وهذا ما يراه هيوز (Hughes) إذ نراه يقول: "أن التسلسل الزمني في سفري القضاة وصوصيل هو خيال محض اخترعه اليهود في المنفى لكي يمدونا بمشروع فارغ عمره ألف سنة، يغطي تاريخ وجود إسرائيل في أرض كنعان، وهو ما ذكره طومسون (Towmson) في كتابه: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي:

"لا يعدو تصور تاريخ إسرائيل القديم كما ورد في القسم الأكبر من التوراة العبرية أن يكون قصة خيالية وهو بمنزلة اختلاق للتاريخ".¹⁰

لهذا نرى أن الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس تركز على الحق العربي الإسلامي في القدس وفلسطين.

أ. الحق الديني:

إن الإسلام هو الوارث لما قبله من الشرائع السماوية، وإن الإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا: نعبد إلهك، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون"¹¹.

وبهذا التقرير الإلهي، فإن المسلمين هو الوارثون الحقيقيون للأنبياء جميعاً، بما فيهم الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل ومنهم موسى عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قدم النبي (ص) المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا هذا يوم

¹⁰ هشام حاكمة: الأساطير الإسرائيلية، ص 48.

¹¹ سورة البقرة، آية 132.

صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدّوهم فصامه موسى، فقال: فأنا أحقّ بموسى منكم، فصامه وأمر المسلمين بصيامه¹².

وبهذه الحقائق الناصعة يحتجّ المسلمون، وإلى هذه البراهين يستندون في تقرير إسلامية فلسطين، منذ أول رسالة إلى هذه الأرض، وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.¹³ كما أن القرآن الكريم ينفي صلة اليهود بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بما فيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وباسمه سمى اليهود دولتهم الحالية.

ب. الحق التاريخي:

يستند هذا الحق إلى الوجود العربي والإسلامي في القدس وفلسطين الذي بدأ مع وجود القدس مدينة، وبقية المدن والبلدات الأخرى ولم ينقطع هذا الوجود العربي منذ 4 آلاف عام قبل ميلاد السيد المسيح وحتى يومنا هذا.

وقد أطلق البيوسيون الكنعانيون العرب على مدينتهم القدس التي أسموها يبوس، حيث سكنوها وبنوها. وأول من بناها سالم البيوسي قبل 3000 عام قبل ميلاد السيد المسيح وخطّها تخطيطاً عمرانياً ملكها البيوسي ملكي صادق الذي كان محبباً للسلام فأطلق عليها اسم أورشالم أو أورسالم، أيّ مدينة السلام.

وهؤلاء ينحدرون من القبائل الكنعانية العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة ق.م، وبنوا المدن والبلدات الفلسطينية المعروفة حالياً مثل: نابلس، وأريحا وعسقلان ويافا وغزة وعكا وغيرها، والتي تعتبر أقدم المدن في العالم وأقاموا فيها مدنيات وحضارات كنعانية.

وتدل جميع الدراسات العلمية والأثرية أنّ سكان فلسطين منذ هذا التاريخ وما بعده كانوا من الكنعانيين العرب.

¹² صحيح البخاري، 306/2.

¹³ جاسر العناني، القدس، ص19.

أما وجود العبرانيين واحتلالهم لبعض المناطق الفلسطينية فأنه يبدو كحلقة قصيرة في تاريخ الوجود العربي، ويعتبر مروراً عابراً مثل غيره من الغزوات العسكريّة التي مرّت وانتهت آثارها على القدس وفلسطين، وبقيت محتفظة بوجهها العربي والإسلامي رغم العاديات.

فشل النظام العربي في تحرير القدس وفلسطين

لقد فشلت أنظمة العرب والمسلمين في مجمل الحياة العسكريّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتمثل ذلك في ضياع فلسطين واحتلالها من قبل اليهود. وعدم قدرتها على بلورة رؤية إستراتيجية سياسية تعيد حقوق شعب فلسطين المهذورة، لا سيما بعد مجيء السلطة الفلسطينية إلى أرض فلسطين عام 1993م.

قد أدى ذلك إلى إحلال أحزاب وجماعات إسلامية مقاومة للاحتلال الغربي والأمريكي واليهودي لبلدان العرب والمسلمين بدلاً من هذه الأنظمة التي أنهت دورها الدفاع عن الأوطان وإعادة حقوقهم المغتصبة، ناهيك عن الفساد السياسي الذي أصبح سمة لهذه الأنظمة، وفي ذلك يَصُور أحد الساسة العرب والذي خاض تجربة مريرة كان أحد شهودها في هزيمة حزيران سنة 1967م، وهو سعد جمعة الذي كان رئيس وزراء الأردن في أثناء حرب حزيران فيقول في وصف حال تلك الأنظمة: "لقد كثر الدّباحون بعد أن زيفت حقيقتها، وشوّهت هويتها العهارة الفكرية، وأبناء الأفاعي من كل منحوب ومعطوب، يشغلون النَّاس عن الأصالة بالعمالة... وعن الفضيلة بالرديلة، وعن الجهاد بالهروب والقعود، إنهم نقابات الفساد والمؤامرة، هم القادة الخائبون والساسة المنافقون، والمفكرون المزيّفون، وهم رقيق الحكّام الذين يطبّلون للذل ويرقصون على أشلاء الأمة، ويفرحون لضياع الأرض وتشرد الأهل" ¹⁴.

ويبدو جلياً أن أصحاب هذه الرؤية المستقبلية بدأوا يضعون لبنات ثابتة في مقاومة أعداء الأمة. ويعملون لتطبيق استراتيجية إسلامية، وتصور ينطلق من القرآن والسنة النبوية والموروث التراثي الذي يرى بأن بيت المقدس هي وقف إسلامي وعقيدة كل المسلمين، وبأنه لا يجوز التنازل على أي جزء من أرض فلسطين التاريخية. كما أنهم يبنون هذا التصور على أن القدس وفلسطين هي وعد الله في وراثتها للمسلمين. فهناك رباط بين المسجد الحرام والمسجد

¹⁴ سعد جمعة، أبناء الأفاعي، ص6.

الأقصى. قال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير" ¹⁵.

كذلك فشل العملية التفاوضية بين الوفد الفلسطيني والوفد الإسرائيلي، ومنذ مؤتمر مدريد عام 1991م وحتى الآن يعود إلى غياب مشروع فلسطيني رسمي يرتكز على البعد المستقبلي الديني والتاريخي لقضية فلسطين، قد أوصلها إلى هذا المأزق الخطير.

إن قيام انتفاضة الأقصى المباركة عام 2000م، التي أكدت على أنّ صمود الشعب الفلسطيني الأسطوري قد أجبر السياسيين والمفكرين بمراجعة شاملة لمسيرة الصراع مع الإسرائيلي. أما إطلاق مصطلح بيت المقدس على القدس وفلسطين فهي تسمية إسلامية، فهناك مسميات كثيرة عليها منها: الأرض المباركة، والإسراء والمعراج، وأرض الأنبياء والمرسلين، وأرض الأولياء والصالحين، وأرض المعجزات والكرامات والأرض المطهرة والأرض المقدسة، وفلسطين وغيرها. لكن بيت المقدس هو الاسم الأكثر شيوعاً للقدس وفلسطين في المصادر العربية والإسلامية.

وفي ذلك ورد حديث للرسول محمد (ص) يقول فيه: "يا معاذ، ستفتح عليكم الشام من العريش إلى الفرات رجالها ونساؤها مرابطون إلى يوم القيامة فمن اختار ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في رباطٍ إلى يوم القيامة"¹⁶. فبيت المقدس أرض الرباط الذي حثّ الرسول أهلها على التمسك وعدم التفريط بها.

انتفاضة الأقصى

لقد شكلت انتفاضة الأقصى المباركة التي اندلعت في الأراضي الفلسطينية المحتلة انطلاقاً من المسجد الأقصى منذ التاسع والعشرين من أيلول 2000م، بعد محاولة شارون تدنيس حرمة المسجد الأقصى نقطة تحوّل وغيّرت خريطة الأحداث الرئيسية في فلسطين والمنطقة، ومهدت لعودة الشعب العربي الفلسطيني إلى مكانه الحقيقي، وميدانه الأساس في مقاومة

¹⁵ سورة الإسراء، آية 1.

¹⁶ الهيثمي، مجمع الزوائد، 411/9.

ومقارعتة بكل الوسائل لتحرير الأرض، بعدما راهن بعضهم أنّ هذا الشعب المعطاء قد ترهلت قواه واستكانت عزمته وارتضى تسوية مذلة لحلّ قضيته العادلة.

كما كان انتقال شعلة هذه الانتفاضة وتأججها خارج حدود الضفة الغربية وقطاع غزة وتحركها السريع إلى انتفاضة الجماهير الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام 1948م مفاجئاً لحكام إسرائيل ومن يساعدها من دول الغرب الأمريكي وغيرها من حيث عنفها وشدتها وحجم التضحيات التي قدمتها جماهيرنا فسقط عشرات الشهداء والجرحى، وعمت هذه الانتفاضة معظم المدن والقرى الفلسطينية داخل الخط الأخضر، فالتحمت تلك الجماهير مع جماهير الأراضي المحتلة عام 1967، على الرغم من اشتعال قوات كافة أنواع القوة والبطش¹⁷.

وقد وحدت هذه الانتفاضة الجماهير الفلسطينية في داخل فلسطين وأصبح الشعب الفلسطيني تحت سقف احتلال واحد، وتحت سياط والاضطهاد والتمييز العنصري الصهيوني، وتوجه لمقاومة هذا بكل الوسائل المتاحة. وكان تحرك هذه الانتفاضة إلى العمليات العسكرية وخاصة العمليات الاستشهادية التي أدت إلى قتل أكثر من ألف يهودي وجرح أكثر من عشرة آلاف انعطافاً وتغييراً مذهلاً في شكل الصراع.

فهذا العدد الكبير من القتلى والجرحى كان صاعقة على الإسرائيلي فلم يسقط هذا العدد من القتلى في حروب الدولة العبرية مع الجيوش العربية طيلة هذه الحروب. صحيح أنّ الشعب الفلسطيني قدّم أكثر من أربعة آلاف شهيد وأكثر من خمسين ألف جريح، لكن بدأ هناك تقارب في نسبة القتلى بين الشعب الفلسطيني والإسرائيلي.

كذلك فإن هذه الانتفاضة قد شكّلت تحولاً خطيراً في بنية المجتمع الإسرائيلي، إضافة للعدد الكبير من القتلى والجرحى في داخل العمق الإسرائيلي في تل أبيب، والقدس، وحيفا، وנתانيا، أدت هذه الانتفاضة إلى هجرة عكسية من الإسرائيليين، فأدت إلى هجرة مئات الآلاف من الإسرائيليين من أصحاب العقول العلميّة من أكاديميين، وأطباء، ومهندسين وعلماء.

بروز المشروع الإسلامي النهضوي وانتفاضة الأقصى

¹⁷ أحمد القاسم، انتفاضة الأقصى، ص34.

نستطيع أن نقول إنَّ انتفاضة الأقصى المباركة قد غيّرت من معادلة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، بل غيّرت من معادلة الصراع العربي والإسلامي ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي في المنطقة.

ومن هنا فهناك تغيّر في شكل الصراع كما أسلفنا وأصبح يأخذ طابعاً حضارياً وعقائدياً.

مما أدى إلى ظهور إستراتيجية جديدة في المنطقة العربية والعالم، هذه الإستراتيجية هي المشروع الإسلامي الحضاري الكبير ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي. هذا المشروع يقوم على أساس بلورة عمل جهادي شامل لم يعد يقتصر على فلسطين وحدها بل انتقل هذا الصراع إلى خارجها، وبوصلة هذا المشروع تحرير القدس وفلسطين ورفض الهيمنة الغربيّة الأمريكية على المنطقة العربيّة منذ أكثر من قرن أي منذ نهاية الدّولة العثمانية.

مما يشكل رؤية إسلامية لمستقبل القدس وفلسطين بل تغيير في خريطة ميزان القوى العالمية.

إن انتفاضة الأقصى كانت بداية ظهور هذا المشروع بل نجاحه؛ فمن المظاهر الأخرى الذي يركز عليها وتبدو ملامحه في تغيير معادلة هذا الصراع لصالح العرب والمسلمين والفلسطينيين انهيار الحلم الإسرائيلي الكبير من النيل إلى الفرات.

الثورات العربية:

لقد أسهمت انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الإسرائيلي في توعية الشعوب العربية المقموعة والمقهورة من الأنظمة الفاسدة والمستبدة، فأدركت تلك الشعوب أن هذه الأنظمة القامعة لشعوبها لا تريد الخير لها، وفوق ذلك تمنع الشعوب من نصرّة الشعب الفلسطيني المظلوم من محتليه.

بدأت الثورات العربية في تونس عام 2010م ضد حكام العرب الذين ولاهم علينا أعداؤنا من أجهزة الاستخبارات للقوى العالمية الكبرى، من أجل إقصاء الإسلام عن اتخاذ القرارات، وبذلك تم تعريب الأمة وإبعادها عن مساعدة الشعب الفلسطيني ونصرته، فكانت التضحية بالنفس التي قام بها بوعزيزي بمثابة الشرارة التي أوقدت الثورة في تونس الشعبية، لتنتشر في كل مدن

تونس وريفها.¹⁸ واستطاعت تلك الثورات الشعبية إنهاء حكم زين العابدين بن علي الذي حكم البلاد بالاستبداد مدة ثلاثة وعشرين عاماً.

وتبع رحيل ابن علي سلسلة من الاحتجاجات والانتفاضات، والمظاهرات الحاشدة في تونس ومصر وليبيا، وإنهاء حكم علي بن عبدالله صالح في اليمن. وانطلقت محاولات الإصلاحات الدستورية في المغرب والأردن وغيرها لمحاولة احتواء هذه الثورات العربية أو السيطرة عليها في معظم الأقطار العربية.

وكان واضحاً حتى الآن أن هذه الثورات ديناميات جديدة في المنطقة، وإن حادثة بوعزيزي لم تكن إلا بمثابة الشرارة التي أطلقت مارد الشعوب العربية من عقالها ليبدأ عصر جديد يعيد الاعتبار إلى شعوبنا العربية لتقود نفسها بعيداً عن هيمنة الغرب الأمريكي - الإسرائيلي.¹⁹

لقد بدا للمراقب أن الثورات العربية تحمل في طياتها تحولاً كبيراً في عقلية الإنسان العربي الذي أدرك أن هذه الثورات هي التي ستعيد له العزة والكرامة والحرية التي أفقدها إياها هذه الأنظمة التي سعت للقضاء على روح الإنسان العربي لتبقيه ذليلاً خاضعاً ليقبل بواقعه المرير.

فقامت هذه الثورات لتعيد له كيانه المهدور، وإنسانيته المسلوبة، ففي حين بدأت دول إسلامية بالنهوض مثل تركيا وإيران وماليزيا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لهذا أدركت تلك الشعوب العربية أن عليها أن تنتفض وتثور على الواقع الفاسد والمختلف، مع ما تملكه تلك البلدان من إمكانيات عظيمة للنهوض والتطور، إذ وجدت من يقوم بقيادتها.

وها هي الثورات العربية اليوم تعيش حالة من التغيير والنهوض، رغم ظهور قوى داخلية وخارجية تحاول منع تلك الشعوب من أن تملك زمام أمورها، ولكن الواقع يثبت أن الشعوب بدأت تعرف طريقها في الثورة والتغيير لصالحها.

وما نلاحظه اليوم من أحداث في الساحة الفلسطينية مثل انتفاضة الأقصى ودفاع أهل القدس عنه خاصة ومعهم أهل فلسطين وما واكبها من مسيرات في بلاد العرب والمسلمين ضد

¹⁸ د. محمد زغلول النجار، ما بعد ربيع الثورات العربية، ص 5.

¹⁹ يوسف الصوراني، و د. رياردو لاريمونت، ص 213.

ممارسات الإسرائيلي ومنعه من الاستيلاء على المسجد الأقصى إلا مظهر من مظاهر الصحة الفلسطينية والعربية والإسلامية.

بداية انهيار الدولة اليهودية

لقد استطاعت انتفاضة الأقصى المباركة أن تؤكد عقم مشاريع التسوية مع الدولة العبرية، وزيف الوعود الإسرائيلية بالسلام، وإعادة الحقوق لأهلها.

كما أنها شكلت شعوراً عاماً بعجز إسرائيلي واضح أمام الانتفاضة وعملياتها. فالقلق دائم من عمل مقاوم هنا أو هناك والحل مفقود. لأن سلطات الأمن الإسرائيلية غير قادرة على إيقاف أي هجوم ومواجهة من شخص يطلب الموت.

كذلك استطاعت أن تضرب المشروع السياسي الإسرائيلي في عمقه وقلبه وفكره، ففشلت كل محاولات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في القضاء على الانتفاضة. إضافة إلى فشل المجتمع الإسرائيلي وقادته في إيجاد مشروع سياسي موحد²⁰.

لقد بدأ المشروع الصهيوني في الانكماش والضعف، ومن مظاهره فشل شارون في قمع الانتفاضة ورضوخه وانسحابه من قطاع غزة كاملاً، ومن أربع مستوطنات في شمال الضفة الغربية والتي شكلت العمود الفقري للعمل النضالي في الجهاد والمقاومة ضد المحتل.

وبرز مشروع جهادي مكون من الأحزاب الفلسطينية التي تتبنى الجهاد والمقاومة من حماس والجهاد وسرايا القدس، وألوية الناصر صلاح الدين، وكتائب الأقصى وغيرها، وبدأت كل هذه الجماعات ترفع رايات إسلامية مكتوب عليها لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وكان من أبرز المظاهر الإسلامية المظاهرات والمسيرات الجماهيرية والجنائزية والتي بدأت تطلق أناشيد وهتافات إسلامية:

الله أكبر يا بلادي دم الشهيد بنادي

يا شهيد ارتاح ارتاح واحنا نواصل الكفاح

²⁰ (خالد شعبان وآخرون، أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، ص16).

باب الأقصى من حديد وما بيفتحوا إلا الشهيد

على القدس رايعين شهداء بالملايين

يا عمر بن الخطاب جايبين شيخ الشباب

يا خالد بن الوليد جايبين عاريس جديد

هجوم القاعدة على نيويورك وواشنطن وأحداث 11 سبتمبر /أيلول 2001

كما أنّ هذه الإستراتيجية الإسلامية انتقلت إلى خارج فلسطين فأدت إلى ظهور عمليات عسكرية خارج الوطن العربي والإسلامي. ونعني بذلك هجوم القاعدة على أمريكا في 11 أيلول عام 2001م، التي سماها الشيخ أسامة بن لادن غزوة نيويورك وواشنطن.

ولأول مرة في التاريخ استطاع تسعة عشر من أفراد القاعدة التخطيط والوصول إلى أهم معالم الدولة الأمريكية ونعني بذلك تدمير المركز التجاري الدولي في نيويورك عصب الاقتصاد الأمريكي وتدمير أجزاء كبيرة من وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن. وأدى إلى وقوع خسائر كبيرة وآلاف القتلى والجرحى من الأمريكان وغيرهم.

ولقد صرّح أحد أفراد المجموعة أنّهم قاموا بهذه العملية الاستشهادية انتقاماً من أمريكا التي تدعم الدولة العبرية وثائراً لدماء الشعب الفلسطيني التي سفكها اليهود في فلسطين.

ومن هنا تبلورت مجموعات جهادية في فلسطين والعراق تهدف إلى محاربة المحتلين الغربيين والأمريكان وكذلك مقاومة الإسرائيلي، مما أدى إلى خلخلة التفكير الغربي هذا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والمتمثل بزرع الكيان الإسرائيلي في فلسطين، وفي عمق جسم الوطن العربي والإسلامي، ولذا بدأ انقسام خطير في العقلية الغربية عن جدوى وجود الدولة اليهودية التي أصبحت عبئاً على الغرب.

لقد نجحت القاعدة في جرّ أمريكا والغرب إلى ساحات مقاومة وجهاد خطط لها المجاهدون في العراق وأفغانستان فبدلاً من قيام دول الغرب الأمريكي في البحث عن أسباب قيام

حركة جهادية إسلامية جديدة وقوية والتي كان من أسباب الإسرائيلي للقدس وفلسطين وقيام اليهود منذ ستين عاماً بأعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني تمثلت بالمذابح والمجازر وتدمير ألف قرية فلسطينية وتشريد أكثر من سبعة ملايين فلسطيني من بيوتهم وقراهم ومدنهم. وزرع المئات من المستوطنات.

لجأت أمريكا إلى احتلال أفغانستان والعراق وهو عمل أقل ما يقال عنه بالمتهور والمتسرع في المفهوم الإستراتيجي وها هي أمريكا والغرب يحصدان نتائج المرعبة.

فشل أمريكا في احتلال أفغانستان

أدرك الساسة الغربيون أن ما حدث من هجوم القاعدة التي تتبنى المشروع الإسلامي الكبير المرتكز على حتمية هزيمة إسرائيل وأمريكا وتحرير القدس وفلسطين، وانتصار الإسلام وقيام دولة إسلامية عالمية كان تحولاً خطيراً في شكل الصراع مع العرب والمسلمين.

ولما كانت أفغانستان قاعدة مهمّة في انطلاق هذا المشروع، والتي تقودها حركة طالبان الإسلامية بقيادة الملا محمد عمر، والمتحالفة مع القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن تصوّرت دول الغرب الأمريكي بقيادة أمريكا المتضرر الأكبر من هذا المشروع أنّه لا بد من القضاء عليها. فأرسلت قوات كبيرة من الأساطيل الجوية والبرية والبحرية، وبدأت الهجوم الكاسح على أفغانستان سنة 2002م، أي بعد سنة من الهجوم على أمريكا. ومع مضي أكثر من سبع سنوات على الحرب هناك، إلا أن أمريكا لم تستطع أن ترسخ أقدامها هناك.

فالمقاومة الإسلامية الأفغانية عنيفة، وتحقق انتصارات كبيرة. ولا أدل على ذلك من أن أمريكا ومعها حلف الناتو، والمتعاونين معها من الأفغان لم تستطع الصمود حتى في كابول عاصمة أفغانستان، والتي تتعرض بين الفينة والأخرى لهجمات كبيرة ونوعيّة.

والذي يدل على قرب هزيمة حلف الناتو بقيادة أمريكا في أفغانستان تصريحات المسؤولين الغربيين وآخرهم تصريح أمين عام حلف الناتو الذي أكد بعد زيارته الأولى لكابول باستحالة الانتصار العسكري ضد طالبان.

إنّ انتصارات حركة طالبان والحزب الإسلامي ومعها القاعدة يبرهن على فشل الغربي لأفغانستان مما يمهد لانتصار المشروع الإسلامي الجهادي ضد المحتلين.

فشل دول الغرب الأمريكي في العراق

لقد تصوّرت أمريكا بأن حربها ضد العراق ستكون أسهل من أفغانستان فقامت بإرسال جيوش جرارة ومعها أساطيل من الطائرات والبوارج والعتاد سنة 2003م. وظنّت بأن دخولها السريع إلى بغداد عاصمة الرشيد، ستنهي فصلاً من أعدائها ممثلاً بالنظام العراقي بقيادة الرئيس صدام حسين الذي هيا الشعب العراقي للمقاومة والجهاد عبّر تسليح معظم الشعب وتدريبه على كافة الأسلحة.

وشارك أمريكا في هذه الحرب أكثر من ثلاثين دولة أوروبية وغير أوروبية على أمل الانتصار على المسلمين في جبهة العراق، رغم وجود تعاون أحزاب ومجموعات من العراقيين وتحالفهم معها، لكن وبعد مضي أكثر من خمس سنوات بدأت الدّول المشاركة تهرب من العراق نتيجة لشراسة المقاومة وآخر هؤلاء المنهزمين بريطانيا الحليف الأكبر في حروبها ضد المسلمين في العصر الحديث.

أما القوات الأمريكية فقد بدأت تتسحب تدريجياً نتيجة للخسائر الكبيرة في الأفراد والعتاد، كما أن إدعائها في حروبها أنها تريد تطبيق شعارات الحرية والعدالة للعراق وأفغانستان قد فشلت، وبدأت الحقائق على أرض الواقع تظهر، فقد قتل أكثر من مليون عراقي، وشرّد أكثر من ستة ملايين من ديارهم وأرضهم، لكن المقاومة الإسلامية العراقية كانت أكبر الرابحين فقد أوقعت خسائر كبيرة في المحتلين، فبفعلها كانت هذه الانسحابات.

إن المقاومة الإسلامية في العراق قد أثبتت أنّها المحرك الأكبر في الأحداث هناك، وأن زرع الأمريكي للفتن بين الطوائف والمذاهب والأعراف، لا سيما بين السنة والشيعة، قد فشل كذلك، مما يؤكد على انتصار آخر للمشروع الإسلامي الجهادي والمقاوم في الأمة.

إن دول الغرب الأمريكي تدرك أنّها تخوض الآن معارك آخر الزمان ضد الغرب والمسلمين الذين بدءوا، بالنهوض وأن المجاهدين والمقاومين في أفغانستان والعراق ولبنان

وفلسطين يدركون كذلك أنها معارك الإسلام الأخيرة ضد أعدائه، وهي ما تسمى بالأحاديث الشريفة حروب الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى.

لقد استعملت دول الغرب الأمريكي مصطلحات كثيرة في معاركها ضد المسلمين. مثل الحرب ضد الإرهاب، والتطرف، والشرق الأوسط الجديد، وقبل ذلك النظام العالمي الجديد، هذه الفوضى الجديدة، وليس النظام الجديد وانقلب السحر على الساحر وسقطت كل الشعارات الخادعة.

وأدركت شعوب العرب والمسلمين خديعة الغرب الأمريكي لها، ف هو . ولما كانت كل الشرائع والقوانين الدولية تجيز لكل شعب ومقاومة المحتل، فالتقت تلك الجماهير حول مشروع الجهاد والمجاهدين في الأمة.

وبدا ذلك جلياً، مما يقرب الزمن للانتصار الكبير للعرب والمسلمين ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي.

انتصار حزب الله على إسرائيل

كانت هزيمة الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان المحتل في أيار 2000م، رغم احتلال زاد عن عشرين عاماً؛ نتيجة شدة وعنف المقاومة اللبنانية بقيادة الشيخ حسن نصر الله. فلأول مرة تخرج الدولة العبرية من أراضي عربية محتلة رغماً عنها، ودون مفاوضات، صحيح أن إسرائيل خرجت من سيناء نتيجة هزيمتها في حرب تشرين عام 1973م ولكن بعد مفاوضات طويلة. فخرجت الدولة العبرية من لبنان مهزومة، أمام قوة وضربات حزب الله.

ثم أرادت إسرائيل إعادة هيبته لجيشها وشعبها أمام هذه الهزيمة النكراء، فشنت هجوماً كبيراً ضد حزب الله في الجنوب اللبناني في تموز 2006م. وكانت معركة شرسة استمرت ثلاثة وثلاثين يوماً أجبرت إسرائيل على الانسحاب دون أن تحقق شيئاً من أهدافها، وعدّ هذا انتصار لحزب الله ضد المشروع الغربي الجديد.

فشل إسرائيل في حربها ضد غزة.

أرادت الدولة العبرية تحقيق انتصار ساحق على قطاع غزة بعد استيلاء حركة حماس على غزة في حزيران 2007م، فقامت بحرب ضد غزة، استعملت كل قوتها العسكرية من طائرات وسفن ومدفعية وصواريخ فقتلت أكثر من ألف وخمسمائة وجرحت أكثر من خمسة آلاف، ودمرت الآلاف من المساكن والأبنية مدة اثنين وعشرين يوماً.

لكن المقاومة كانت عنيفة وبأسلة فصمدت نتيجة لتعاقد مجموعات المقاومة والجهاد، من كتائب القسام وسرايا القدس، وألوية الناصر الدين، وكتائب شهداء الأقصى وغيرها، وتلاحم الشعب مع المقاومة. مما أرغم الجيش الإسرائيلي على الانسحاب ولم يحقق شيئاً من أهدافه، المتمثلة في إعادة الجندي الإسرائيلي، الأسير ووقف إطلاق الصواريخ، وإزالة حركة حماس والقضاء على الجماعات الجهادية.

مما عدّه جميع الخبراء والسياسيين نكسة جديدة للدولة العبرية، وملحمة وانتصاراً جديداً لمشروع الجهاد والمقاومة في فلسطين وخارجها.

والذي يدل على ذلك قيام المسيرات الجماهيرية والحشودات المليونية في بلاد العرب والمسلمين التي كانت مسانداً قوياً للمشروع الجهادي في أمة العرب والمسلمين.

رؤية القرآن الكريم

وهذا المشروع الإسلامي النهضوي، ينطلق من القرآن والسنة والموروث الحضاري بحتمية انتصار الإسلام والمسلمين على أعدائهم.

فالقرآن الكريم هو المحفّز للقائمين على هذا المشروع، فالله تعالى قد وعد المسلمين بالنصر والتمكين والسيادة، قال تعالى: " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكّن لهم دينهم الذي ارتض لهم، وليبدّلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً".²¹

²¹سورة النور، آية 55.

هذا هو الاستخلاف الذي أراده الله، وهو قيام الخلافة الراشدة، وعدهم الله أن يستخلفهم كما يقول سيد قطب: "ليحققوا المنهج الذي أراده الله، ويقروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات على طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله، ووعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الإسلام الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، وديننا أمرنا بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض".²²

فالأمة تنتظر وتقيم خلافة الله حينما تعدّ العدة، وتجاهد الأعداء وتوكل أمرها إلى الله، عند ذلك يأتي النصر والفرج. فالله هو القائل: "نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، وجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض".²³

كما أن سورة الإسراء تحدّثت عن وعد الله القادم بنصرة هذا الدين وإقامة الخلافة، قال تعالى: "فإذا جاء وعد الآخرة، ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علو تتبيرا".²⁴

فنصر الإسلام وعد الله الآخر، ليسوء المسلمون وجه الإسرائيلي لأنه سيكون عذاب الخزي، وهزيمة إسرائيل الوشيك لأنها قامت على ظلم الشعب الفلسطيني خاصة، والعرب عامّة، فاعلت المجازر والمذابح، ولكنها لم تغلح ولن تغلح في القضاء عليه، قال تعالى: "إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد".²⁵

نبوءات الأحاديث الشريفة في تحرير القدس وفلسطين من اليهود.

حينما نقرأ الأحاديث الشريفة في كتب السنة يستوقفنا باب الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى.

وهذه الأحاديث تعطي بشرى للمستضعفين والمحرومين من شعب فلسطين المسلم والشعوب العربية والإسلامية المستضعفة بان الله سينصر هذا الدين بعزّ عزيز، وذّل ذليل.

²² سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، 5/119.

²³ سورة القصص، آية 6.

²⁴ سورة الإسراء، آية 7.

²⁵ سورة غافر، آية 51.

فالخلافة الراشدة هي أمل الأمة المقهورة من الأعداء الأبعد والأقارب، والفجر المنتظر، كما بشر الرسول محمد (ص): بأنه ستكون خلافة راشدة في آخر الزمان بعد الحكم الجبري الظالم، فقال: "تكون فيكم بنوة ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله، ثم تكون خلافة راشدة ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها، ثم يكون ملكاً وراثياً ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها، ثم يكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله. ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة".²⁶

ظهور الخلافة الراشدة الموعودة، وعاصمتها بيت المقدس

كما أن أمة الإسلام على أعتاب خلافة راشدة بقيادة المهدي المنتظر الذي يأتي حكمه بعد الحكم الجبري الظالم، يقول الرسول (ص): "سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً".²⁷

وقد بيّن الرسول (ص) أن الخلافة الراشدة، خلافة المهدي الموعودة تأتي في أيام الفتن العظام والبلايا، ويقم خلافته وعاصمتها بيت المقدس. وهي خلافة عادلة تعم الأرض، تقام بعد الظلم والطغيان الذي يسود بلاد المسلمين والعالم. وفي ذلك يقول الرسول محمد (ص): "يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه إلى رأسك".²⁸

وحتى تعلم أمة الإسلام أن هذه الأيام العصيبة، والفتن والخطوب هي تمحيص لأهل الإيمان، وسيتبعها فرج وانتصار كبير وقيام الخلافة الراشدة بقيادة المهدي. يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: " ينزل يأتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يُسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض بما رحبت، وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجأ إليه من الظلم، فيبيعث الله رجلاً من أمتي وهو (المهدي) فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. لا توفر الأرض شيئاً من بورها إلا

²⁶ الهيثمي، مجمع الزوائد، 188/5.

²⁷ السلمى، عقد الدرر، ص16.

²⁸ الهندي، كنز العمال، 157/14، والحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين.

أخرجته، ولا السماء شيئاً من قطرها إلا حبتة، يعيش فيه سبع سنين أو تسعاً، وينزل بيت المقدس²⁹.

وقتل اليهود والإنصار عليهم بشرى سيدنا محمد (ص) القائل: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا، أنتم شرقي النَّهر، وهم غربه، حتى يقول الشجر والحجر، يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فأقتله إلا شجر الغرقد، فإنها منهم".³⁰

المؤلفات التراثية والحديثة

لم يؤلف عن مدينة كما أُلّف عن القدس، ولم تبحث قضية كما بحثت قضية فلسطين.

ولكنني سأتناول بالتحليل المؤلفات التي تناولت فضائل بيت المقدس وعلامات الساعة الكبرى عند المسلمين، ومبشرات قرب ظهور المهدي، وقيام الخلافة الراشدة ببيت المقدس.

من ذلك، فضائل بيت المقدس لأبي المعالي إبراهيم المقدسي (ت 492هـ/1099م)، وفضائل القدس لإبن الجوزي (ت 597هـ/1200م)، وأتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، للمنهاجي السيد (ت 813هـ/1410م)، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي (ت 927هـ/1239م)، وغيرها الكثير.

أما الكتب التي تتحدّث عن الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى فهي كثيرة ومتنوعة، وكلها تتحدث عن معارك آخر الزمان والفتن المصاحبة والزلازل، وأن أمة الإسلام على موعد ظهور الإمام المخلص المهدي المنتظر، وذكر صفاته وانتصاراته على الأعداء وقيام الخلافة الراشدة في بيت المقدس من خلال ذكر أحاديث شريفة. ولقد عددت أكثر من مائة منها.

وكتاب الفتن لابن نعيم وفيه يذكر أحاديث الفتن واملاحم، وصفة المهدي. وكتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر، للسلمّي (من علماء القرن السابع الهجري، وفيه يذكر أحاديث عن المهدي المنتظر. والعرف الوردی في أخبار المهدي المنتظر، للسيوطي (ت 911هـ/1506) يورد

²⁹ السيوطي، العرف الوردی في أخبار المهدي، ص، 67.

³⁰ صحيح مسلم، 45/18.

أحاديث عن المهدي وميزّاته. وكتاب الإشاعة لأشراط السّاعة، للبرزنجي (ت 1013هـ/1604) وفيه يذكر علامات السّاعة الكبرى ويتحدث عن المهدي وعيسى بن مريم والدّجال.

وحديثاً ظهرت عشرات المؤلفات التي تتناول بالدراسة والتحليل بداية الملاحم، ونهاية إسرائيل وتحرير القدس وفلسطين، وقرب ظهور المهدي وبيعته، وقيام الخلافة الرّاشدة وعاصمتها بيت المقدس، منها:

- كتاب البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى، لمؤلفه الدكتور فاروق الدسوقي، صدر سنة 1997. وفيه تناول بالتحليل زوال دولة إسرائيل، وتحرير المسلمين للمسجد الأقصى الوشيك، وإعادة الخلافة الإسلاميّة الرّاشدة.
- كتاب "المهدي المنتظر على الأبواب، للكاتب محمد داود عيسى، صدر سنة 1997. قام بالتحليل الواقع، ووارد قرب ظهور المهدي، وقيام الخلافة الرّاشدة في بيت المقدس.
- كتاب معركة هر مجدون آخر بيان يا أمة الإسلام، لمؤلفه محمد أمين جمال الدين، صدر سنة 2003، فقد تحدث عن معركة هر مجدون بين المسلمين وأعدائهم.
- كتاب يوم الغضب، انتفاضة رجب، قراءة تفسيرية للتوراة. نبوءات التوراة، للدكتور سفر الحوالي، صدر سنة 1421هـ/2001م، فقد تناول واقع انتفاضة الأقصى وربطها بقراءة تحليلية في نبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل وانتصار المسلمين.
- كتاب أتى أمر الله فلا تستعجلوه. من بابل إلى بيت المقدس لمؤلفه الدكتور خالد الحلو، صدر سنة 2005م. فقد تحدث عن نبوءات القرآن الكريم وإستنتاجاته عن قرب ظهور المهدي والخلافة الرّاشدة.
- كتاب شمس نور الإسلام، للشيخ أحمد المهدي، صدر سنة 1428هـ/2007م. فقد تناول فيه بشائر انتصارات الإسلام والمسلمين وتحضير المسلمين لتطبيق الخلافة الرّاشدة الموعودة بقيادة المهدي وعاصمتها بيت المقدس.
- كتاب المهدي المنتظر، والخلافة الرّاشدة الثّانية، لمؤلفه محمد الشويكي، صدر سنة 1428هـ/2007م. فهي دراسة لحقيقة المهدي المنتظر وقيادته للخلافة الرّاشدة التي ستعم الأرض.

الخلاصة:

وبعد، فإن الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس هي المشروع الإسلامي النهضوي الذي يسير عليه المخلصون من هذه الأمة وواقع يعيشه الغُير منها، ومنهج ينطلقون منه في التعامل مع قضية فلسطين وإنهاء الإسرائيلي لبيت المقدس فهذا البحث أكد على ما يلي:

1. إن أرض بيت المقدس وفلسطين أرض إسلامية عربية فلسطينية ارتبطت مع الإنسان الفلسطيني منذ أن بني مدنها وبلداتها.
2. على الفلسطينيين والعرب والمسلمين جميعاً توحيد جهودهم لتطبيق هذه الإستراتيجية والرؤية الإسلامية لإقامة دولة الخلافة الراشدة وعاصمتها بيت المقدس.
3. إن الذي يعزز هذا المشروع وهذه الرؤية فشل اتفاقيات السلام المزعوم بين الفلسطينيين وأطراف عربية من جهة والدولة العبرية من جهة أخرى في إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
4. إن سبيل تحرير القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة ثبت أنها لا يمكن أن يتم إلا بالمقاومة والجهاد ضد المحتلين.
5. كذلك فشل دول الغرب الأمريكي في تطبيق قرارات الأمم المتحدة على الجانب الإسرائيلي أكد أنها هذه الدول منحازة للطرف المعتدي الإسرائيلي.
6. إن العمل على تحرير القدس وفلسطين واجب على كل العرب والمسلمين، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأرض الأنبياء والأولياء.
7. إن إقامة دولة الإسلام دولة الخلافة الراشدة بقيادة المهدي وعد رباني وبشرى الرسول محمد (ص) وهو اليوم واقع يعيشه الصادقون والمخلصون من أبناء هذه الأمة الذين يقارعون المحتل العاصب في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، وهم يتطلعون للغد المشرق الذي تلوح بشائره في الآفاق.

مصادر البحث ومراجعته:

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1021م) فضائل بيت المقدس، تحقيق جبرائيل جبور، (بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979).
- أحمد المهدي، كتاب شمس نور الإسلام، ط1، (بيت المقدس: إصدارات ومطبوعات دولة الخلافة الراشدة، 1428هـ/2007).
- أحمد محمد القاسم، انتفاضة الأقصى، ط2، (القدس: د.ت، 2001).
- اسحاق شامير، مذكرات اسحاق شامير، (دمشق، دار الكتاب العربي، 1416هـ/1905).
- البخاري الإمام، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ)، حققه عبد العزيز بن باز، (القاهرة: دار الفكر، 1411هـ/1991).
- التوراة، سفر التكوين.
- جاسر علي العناني، القدس: سيناريوهات مستقبلية، (عمان: أمانة عمان الكبرى، 1425هـ/2004).
- الحاكم، النيسابوري محمد بن عبد الله (405هـ/1014م) المستدرک علی الصحیحین، (بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت) ع.ح).
- سفر الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، يوم الغضب، هل بدأ بانتفاضة رجب، قراءة تفسيرية نبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل، (السعودية: دون مطبعة، 1421هـ/2001).